عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

اسمها ونسبها:

عائشة بنت أبي بكر بن عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التيمية.

وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب ابن أذينة الكنانية.

مولدها:

قبل الهجرة بسبع سنين في مكة.

صفاتها:

اشتهرت بقوة الحفظ، وكثرة الفقه، ورواية الشعر، وكانت على علم بالطب.

حياتها:

عائشة أم المؤمنين بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل: بعامين. ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر، وهي ابنة تسع. فروت عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين. وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين. وكانت امرأة بيضاء جميلة. ومن ثم يقال لها: الحميراء.

ولم يتزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حبها. ولا أعلم في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل ولا في النساء مطلقًا، امرأة أعلم منها.

وذهب بعض العلماء إلى أنها زوجة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر.

عن عائشة، قالت: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أريتك في المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه. فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه**»(١).

وعن ابن أبي مليكة، عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: «**هذه زوجتك في الدنيا والآخرة**»(٢).

فما تزوج بكرًا سواها، وأحبها حبًّا شديدًا، كان يتظاهر به، سأله عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «**عائشة**» قال: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»(٣).

وحبه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لعائشة كان أمرًا مستفيضًا، ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته.

وكان يقول: «**يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها**»(٤).

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٨٩ رقم٢٤٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٤ رقم٣٨٨٠)، وقال: حديث حسن غريب. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ٣٥٠ رقم٦١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٥ رقم٣٦٦٢)، ومسلم (٤/ ١٨٥٦ رقم٢٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٣٠ رقم٣٧٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٤ رقم٣٤٣٣)، ومسلم (٤/ ١٨٩٥ رقم٢٤٤٦).

عن عائشة، قالت: لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد، وإنه ليسترني بردائه، لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو[1].

ولدت في السنة الرابعة من النبوة في أولها، تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة بعد سودة بشهر، على اثنتي عشرة أوقية ونش، وقيل: أربع مئة درهم، وقيل: قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث، وهي بنت ست سنين، وقيل: بنت تسع سنين، وقيل تزوجها في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وأعرس بها بالمدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرًا من مهاجره.

وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة، كان مكثها معه تسع سنين وخمسة أشهر، ولم ينكح بكرًا غيرها، ولم يأته الوحي في لحاف واحدة من نسائه سواها، ولم يحب أحدًا من النساء مثلها، وقد كانت لها مآثر وخصائص ذكرت في القرآن والنسب، وكانت لها ليلتان، ولكل امرأة سواها ليلة، لأن سودة وهبتها ليلتها.

وخرجت بعد قتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الكوفة تدعو الناس لأخذ ثأره من قتلته، وكانت وقعة الجمل، ثم عادت إلى المدينة، وكانت أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة، وتعرف من الطب والشعر شيئًا كثيرًا، ولا نعلم امرأة في هذه الأمة بلغت من العلم مبلغها.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٨ رقم٥٢٣٦)، ومسلم (٢/ ٦٠٨ رقم٨٩٢).

وفضائلها وأخبارها كثيرة جدًّا. فكانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة، كثيرة الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عارفة بأيام العرب وأشعارها. روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين.

وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وكانت أكثر زوجات النبي غيرة، وأشدهن حساسية، وكانت من أعلم النساء بدين الإسلام، وأكثر الصحابيات رواية للحديث.

وكانت النساء يلجئن إلى عائشة لتنقل شكواهن إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما لها من مكانة، وكان عمر يحيل إليها كل ما يتعلق بأحكام النساء.

وفاتها:

توفيت بالمدينة ليلة الثلاثاء لسبع عشر خلون من رمضان سنة ثمان وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، ودفنت ليلًا بعد الوتر بالبقيع[1].

أسباب نزول الآيات

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[النور: ١١].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥-٢٠١ رقم١٩)، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (٦/ ٣٥-٤٣)، وتهذيب الكمال (٣٥/ ٢٢٧-٢٣٦ رقم٧٨٨٥)، وتهذيب الأسماء والصفات (١/ ٩٤٣ رقم١١٨٠)، والطبقات الكبرى (٨/ ٥٨).

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت معه بعدما نزل الحجاب، وأنا أحمل في هودج وأنزل فيه، فسرنا، حتى إذا فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل.

فقمت حينئذ، فمشيت حتى جاوزت الجيش. فلما قضيت حاجتي، أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فالتمسته، وحبسني التماسه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام.

فلم يستنكروا خفة المحمل حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش. فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. فأممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ. فبينا أنا جالسة غلبتني عيني، فنمت.

وكان صفوان بن المعطل السلمي، ثم الذكواني، من وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب.

فاسترجع، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفت. فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، فأناخ راحلته، فوطئ على يديها فركبتها.

فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك فيَّ، وكان الذي تولى كبر الإفك عبدالله بن أبي ابن سلول.

فقدمنا المدينة، فاشتكيت شهرًا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ، فيسلم، ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف فذلك الذي يريبني، ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت.

فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا.

كنا لا نخرج إلا ليلًا إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول من التبرز قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

فانطلقت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن المطلب.

فأقبلت أنا وهي قبل بيتي، قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئس ما قلت! أتسبين رجلًا شهد بدرًا؟ قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما ذاك؟ فأخبرتني الخبر، فازددت مرضًا على مرضي.

فلما رجعت إلى بيتي، ودخل عليَّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. فأذن لي.

فجئت أبوي، فقلت: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية! هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها.

فقلت: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟! فبكيت الليلة حتى لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت أبكي.

فدعا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي، يستأمرهما في فراق أهله. فأما أسامة، فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيرًا. وأما علي فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، واسأل الجارية، تصدقك. فدعا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بريرة، فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرًا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فيأتي الداجن، فيأكله.

فقام رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فاستعذر من عبدالله بن أبي ابن سلول، فقال وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**».

فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس، ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا، ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة- وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية، فقال السعد: كذبت لعمر الله! لا تقتله،

ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير -وهو ابن عم سعد بن معاذ- فقال: كذبت! لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فتثاور الحيان: الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَقائم على المنبر. فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك وليلتي، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، حتى ظننت أن البكاء فالق كبدي.

فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي، استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فسلم، ثم جلس، ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، ولقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء.

قالت: فتشهد، ثم قال: «**أما بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه**».

فلما قضى مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فقلت لأمي: أجيبي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقلت وأنا يومئذ حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر

في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة- والله يعلم أني بريئة- لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة، لتصدقني. والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلا قول أبي يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

ثم تحولت، فاضطجعت على فراشي، وأنا أعلم أني بريئة، وأن الله تعالى يبرئني ببراءتي؛ ولكن والله ما ظننت أن الله ينزل في شأني وحيًا يتلى، ولشأني كان في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت: فوالله ما قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى نزل عليه الوحي؛ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي ينزل عليه.

فلما سري عنه وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها: «**يا عائشة، أما والله لقد برأك الله**» فقالت أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله.

وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ العشر الآيات كلها.

فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة.

فأنزلت: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

قال: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا.

قالت: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل زينب بنت جحش عن أمري. فقالت: أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرًا، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك[1].

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٦٣-١٦٧ رقم٢٦٦١)، ومسلم (٤/ ٢١٢٩-٢١٣٦ رقم٢٧٧٠)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٢٠-١٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٣٩-٢٥٤٣ رقم١٤٢٠٦)، وانظر: تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (٢/ ٤٩٩-٥٠١)، وتفسير الثعلبي (الكشف والبيان) (٧/ ٧٢-٧٦)، وتفسير الخازن (٥/ ٥٦-٥٩).